اي صلى مع المصلين في بيت المقدس ولم يرد ايقاع الركوع وحده دون سائر اجزاء الصلاة ولكنه
عبّر بالركوع عن الصلاة كلها كما تقول ركعة العتمة واربع ركعات تريد الصلاة لا الركوع
بمجرده فصارت الاية متضمنة لصلاتين صلاتها وحدها عبر بها بالسجود لان السجود افضل
حالات العبد وكذلك صلاتها مع المصلين وبين صلاتها وحدها في بيتها ومحرابها وهذا
نظم بديع وفقه دقيق وهذا نبذ تشير لك الى ما وراءه او تنبهك واتى صحيح بالعراق مما يليق بهذا
قوله تعالى وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود بدا بالطائفين لانه يبدأ والقرب
من البيت الذي امر بتطهيره من اجل الطائفين ثم يليه في الرتبة القائمين لانه في معنى العاكفين
وهو في معنى قوله الا ما دمت عليه قائما اي مثابرا ملازما وهو كالطائفين في تعلق حكم التطهير به
ثم يليه بالرتبة لفظ الركع لان المستقبلين البيت بالركوع لا يختصون بما قرب منه كالطائفين
والعاكفين ولذلك لم يتعلق حكم التطهير بهذا الفعل الذي هو الركوع ولهذا الابد من ان يكون
في البيت ولا عنده فلذلك لم يجي بلفظ الجمع المعلوم اذ لا يحتاج فيه الى بيان لفظ الفعل كما احتيج
فيما قبله ثم وصف الركع بالسجود ولم يعطف بالواو كما عطف ما قبله لان الركوع هو السجود
والشي لا يعطف بالواو على نفسه ولفائدة اخرى وهو كون السجود اغلب ما يجي عبارة عن
المصلي دون الاسم الذي هو النعت وفائدة ثالثة ان الراكع ان لم يسجد فليس براكع في حكم الشرع يعتد
الى ان قال ___ فمن لحظ هذه المعاني بقلبه وتدبر هذا النظم البديع بلبه ارتفع في معرفة
الاعجاز عن التقليد وابصر بعين اليقين انه تنزيل من حكيم حميد ثم كلامه رحمه الله تعالى وقد توضح
مضايق تضايق عنها ان تحجبها الابرو واتى باشياء حسنة وباشياء غيرها احسن منها
فاما تعليله تقديم الجن فمستدرك عليه لان الانس اشرف من الجن من وجوه عديدة
قد ذكرناها في غير هذا الموضع واما قوله ان الملائكة منهم وهم اشرف فالمقدمتان
ممنوعتان اما الاولى فلان اصل الملائكة ومادتهم التي خلقوا منها هو النور كما ثبت ذلك
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم واما الجان فمادتهم النار بنص القران ولا يصح التفريق
بين الجن والجان لغة ولا شرعا ولا عقلا واما المقدمة الثانية وهي كون الملائكة خيرا واشرف
من الانس فهي المسالة المشهورة وهي تفضيل الملائكة والبشر والجمهور على تفضيل البشر والذين
فضلوا الملائكة هم المعتزلة والفلاسفة وطائفة ممن عداهم بل الذي ينبغي ان يقال في التقديم
هنا انه تقديم بالزمان فان الجن قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان
خلقناه من قبل من نار السموم واما تقديم الانس على الجن في قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
فلحكمة اخرى سوى ما ذكره وهو ان النفي تابع لما تعلقه القلوب من الاثبات فرد النفي عليه

وعلم

ط
الجان

وعلم النفوس بطمث الانس ونفرتها من طمث الرجال وهو معروف فجاء النفي على مقتضى ذلك وكان تقديم
الانس في هذا النفي اهم واما قوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فاجابه بعين
سره من السياق فان هذا حكاية لكلام مؤمني الجن عند سماع القران كما قال تعالى قل اوحي الي انه استمع
نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد الايات وكان القران اول ما خوطب به الانس
ونزل على نبيهم وهم اول من بادر بالتصديق والتكذيب قبل الجن فجاء قول مؤمني الجن وانا ظننا ان لن
تقول الانس والجن على الله كذبا بتقديم الانس لتقدمهم في الخطاب بالقران وتقدمهم بالتصديق
والتكذيب وفائدة ثانية وهي ان هذه حكاية كلام مؤمني الجن بعد ان اسمعوا النبي فاخبروهم بما
سمعوا من القران وعظمته وهدايته الى الرشد ثم اعتذروا عما كانوا يعتقدون ويتداولون الاختلاف فاسمعوه
من الرشد بانهم لم يكونوا يظنون ان الانس والجن يقولون على الله الكذب فكان ذكر الانس هنا في التقديم
احسن في الاعتذار وابلغ في عدم التهمة فانهم خالفوا ما كانوا يسمعون من الانس والجن لما تبين انه كذب
فهذا ابلغ في تبكيت الانس ابلغ في نفي الغرض والتهمة وانه لا يظن بهم قوم انهم ظاهروا الانس عليهم
فانهم اول ما افترى وابتغوا الكذب على الله وهذا من الطف المعاني وادقها ومن تامل موقعه في الخطاب
عرف صحته واما تقديم عاد على ثمود حيث وقع في القران فيما ذكر من تقدمهم بالزمان فصحيح وكذلك
الظلمات والنور وبابه واما تقديم العزيز على الحكيم فانه ان كان من الحكم وهو الفصل والامر
فما ذكره من المعنى صحيح وان كان من الحكمة وهي كمال العلم والارادة المتضمنين اتساق صنعه وجريانه
على احسن الوجوه واكملها ووضعه الاشياء مواضعها وهو الظاهر من هذا الاسم فيكون وجه
التقديم ان العزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وهو سبحانه الموصوف من كل صفة كمال باكملها واعظمها
وغايتها فتقدم وصف القدرة لان متعلقه اقرب الى مشاهدة الخلق وهو مفعولاته تعالى واياته
واما الحكمة فمتعلقها يعلم بالنظر والفكر والاعتبار غالبا وكان متاخرة عن متعلق القدرة من وجه
ثان النظر في الحكمة بعد النظر في المفعول والعلم به فينتقل منه الى النظر فيما اودعه من الحكم والمعاني
ووجه ثالث ان الحكمة غاية الفعل فهي متاخرة عنه تاخر الغايات عن وسائلها فالقدرة تتعلق
بايجاده والحكمة تتعلق بغايته فقدم الوسيلة على الغاية لانها اسبق في الترتيب الخارجي
واما قوله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ففيه معنى اخر سوى ما ذكره وهو ان الطهور طهوران
طهور بالماء من الاحداث والنجاسات وطهور بالتوبة من الشرك والمعاصي وهذا الطهور اصل
لطهور الماء لان طهور الماء لا ينفع بدونه بل هو مكمل له معد بعده لحصوله فكان اولى بالتقديم
لان العبد اول ما يدخل في الاسلام يتطهر بالتوبة من الشرك ثم يتطهر بالماء من الحدث واما
قوله كل افاك اثيم فالافك هو الكذب وهو في القول والاثم هو الفجور وهو في الفعل والكذب يدعو الى

Copyright © King Saud University